The Chittagong University Journal of Arts and Humanities
ISSN 1993-5536
VOL.XXXVI, 2020 (pp.281 - 292)
Published in November 2024

أهمية الوحدة والترابط في القصيدة: دراسة نقدية

(ক্বাসিদায় অর্থের সঙ্গতি ও ঐক্যের গুরুত্ব: একটি সমালোচনামূলক অধ্যয়ন)

ড. মুহাম্মদ জুনাইদুল ইসলাম *

প্রতিপাদ্যসার: মানুষ ভাষার মাধ্যমে পরস্পর মনের ভাব প্রকাশ করে থাকে- কখনো গদ্যে কখনো ছন্দবদ্ধ কবিতায়। ভাবের সঠিক বিনিময়ের জন্য তাতে ঐক্য ও সঙ্গতি থাকা একান্ত প্রয়োজন। উক্ত 'ঐক্য' গদ্যে স্পষ্টরূপে প্রতিবিম্বিত হলেও কবিতায় তেমনিভাবে হয়না। ফলে এ ক্ষেত্রে অনেকেই অনেক ধরনের ধারণা পোষণ করেন। এর ফলশ্রুতিতে আধুনিক আরবি সাহিত্যসমালোচনায় 'কবিতায় ভাবের ঐক্য' একটি গুরুত্বপূর্ণ বিষয়ে পরিণত হয়েছে। সমালোচকগণ তাতে দুটি 'ঐক্য' নিয়ে আলোচনা করেছেন। একটি হলো 'وحدة البيت ' অর্থাৎ একটি চরণ পরিপূর্ণ ভাব প্রকাশে সমর্থ হওয়া; যাকে 'البيت المقلد ' নামে অভিহিত করা হয়। দ্বিতীয়টি হলো 'وحدة الأبيات' অর্থাৎ ক্বাসিদার চরণসমূহ সূচনা থেকে অন্ত পর্যন্ত মিলেমিশে একটি বোধগম্য অর্থ প্রকাশ করা; যেন, ক্বাসিদাটি একটি দেহ এবং চরণসমূহ উক্ত দেহের একাধিক অঙ্গতুল্য। এ প্রসঙ্গে অধিকাংশ প্রাচীন সমালোচক 'وحدة البيت' অর্থাৎ প্রতিটি চরণ পরিপূর্ণ অর্থের অধিকারী ও স্বতন্ত্র হওয়া-কে উত্তম বলেছেন। এদের মধ্যে ইবনু সাল্লাম আল-জুমাহী, আল-মারযুবানী, কুদামা ইবনু জা'ফর, ইবনু রাশীক আল-কায়রওয়ানী- এর নাম সবিশেষ উল্লেখযোগ্য। অপরদিকে প্রাচীন সমালোচকদের মধ্যে যারা 'وحدة الأبيات ' কে উত্তম বলেছেন তাদের সংখ্যাও নেহায়েত কম নয়। তন্মধ্যে বিখ্যাত গ্রীক দার্শনিক আফলাতুন ও তার শিষ্য এরিষ্টটল, আবূ উছমান আল জাহিয, ইবনু কুতাইবা, ইবনু তবাতেবা প্রমুখ বিশেষভাবে উল্লেখযোগ্য। তবে আধুনিক যুগের অধিকাংশ সমালোচক 'وحدة الأبيات '-কে অধিক বেশি গুরুত্ব দিয়েছেন। তাদের মধ্যে উল্লেখযোগ্য কয়েকজন হলেন- আল-বারুদী, আদ্-দাসূকী, 'আব্দুর রহমান শুকরী, 'আব্দুল কাদের আল-মাযেনী, 'আব্বাস মাহমূদ আল-'আক্কাদ। উল্লেখ্য যে, 'আব্বাস মাহমূদ আল-'আক্কাদ ক্বাসিদায় ভাবের ঐক্য অর্জনের ক্ষেত্রে যেসব শর্তসমূহ জুড়ে দিয়েছেন তা শুকরী ও মাযেনীর তুলনায় অনেক বেশি কঠিন ও দুরূহ। বক্ষ্যমাণ প্রবন্ধে উক্ত বিষয়ে বিশদ পর্যালোচনার প্রয়াস চালানো হবে। আল্লাহই একমাত্র তাওফীকদাতা।

المقدمة

الشعر شقيق النثر في الكلام، وكلُّ كلامٍ طويلا كان أو قصيرا لا بد فيه من الوحدة والترابط بين معانيه ومفاهيمه، فالنثر يتركب من الجُمَل والفِقرة، والشِّعر يتركب من الأبيات، والأبيات قد تكثُر وقد تقِلُّ، أما إذا زادت على سبعة فهي تُسمي قصيدة، والترابط بين أبياتها قد يكون واضحا وقد يكون خفيا، وقد في أشد

* সহযোগী অধ্যাপক, আরবি বিভাগ, চট্টগ্রাম বিশ্ববিদ্যালয়, চট্টগ্রাম।

الخفاء، حتى لايقدر أن يطلع عليه أكثر القارئين والسامعين، فأصبحت هذه الوحدة والترابط من القضايا المهمة في النقد العربي الحديث، فتكاثرت فيها الآراء والأفكار وتطاول فيها الكلام من نواحي مختلفة: من ناحية وجودها في القصيدة القديمة، ومن ناحية أنها قضية نقدية حديثة أو قديمة، والعلماء والنقاد قد تناولوها باهتمام بالغ، حتى كتبوا فيها مقالات وتصنيفات مستقلة، فإننا في هذا المقال سنُحاول لإلقاء الضوء على مفهومها وأهميتها عند النقاد والعلماء، كما سنحاول للتفريق بين "وحدة البيت" و بين "وحدة الأبيات" مع توضيح أيّهما أحسن في القصيدة في نظر النقاد والعلماء.

أولاً: معنى القصيدة

القصيدةُ مشتقة من "قصَد يقصِد قصدا ومَقصدا"، من باب (ض)، قصد الطَّرِيقَ قصدا: استقام، والشاعرُ: أنشأ القصائدَ، وَله وَإِلَيْهِ: توجه إِلَيْهِ عَامِدًا، وَفِي الْأَمر: توَسط ، وَفِي الحكم: عدل وَلم يمِل نَاحيَةً، وَفِي النَّفَقَة: لم يُسرف وَلم يقتر، وَفِي مَشْيه: اعتدل فِيهِ (إبراهيم مصطفى وزملاؤه، ج٢، ٧٣٨) ، و في هذا المعنى جاء قوله تعالى: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" (القرآن الكريم، السورة: ٣١ ، الآية: ١٩) أى "امش مشيًا مقتصِدا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرِط، بل عدلا وسطًا بين بين" (ابن كثير، ج٦، ٣٣٩) والقصيد والقصيدة على وزن "فعيل" والفعيل قد يكون فى معنى "مفعول" مثل : جريحٌ فى معنى مجروح، دقيقٌ فى معنى مدقوق أى مطحون، و قد يكون فى معنى "فاعل"، مثل: إن الله سميع عليم أى سامع عالم، وهكذا قسيمٌ فى معنى قاسمٍ، ويَبِيْسٌ فى معنى يابِسٍ؛ فالقصيد إن كان فى معنى "مفعول"فهو ما يكون مقصودًا ومطلوبًا، وإن كان فى معنى "فاعل" فهو ما يكون كاملا معتدلا مستقيما، وجمعه قصائد. وقال الْجَوْهَرِيُّ: القَصِيدُ جَمْعُ القَصِيدة كسَفِين جَمْعُ سَفِينَةٍ. (ابن منظور، ج٣، ٣٥٤).

القصيدة في مصطلح الشعر العربي

إننا نرى القصائد في الشعر العربي أن عددَ أبياتها قد تقِلُّ وقد تكثُر، وكذا نرى أنها قد تسمى قصيدة وقد مقطوعة، فما هي القصيدة؟ وما هي المقطوعة؟ وما الفرق بينهما؟ وما هو أقل مقدار الأبيات في القصيدة؟ ففيه آراء بين الأدباء وهي كما يلي.

يقول الأعشى: أوّل من قصّد القصائد مهلهل خالُ امريءِ القيس؛ والقصيد ما زاد على سبعة أبيات. (أحمد الفزارى، ج١، ٤٩٣)، ويقول ابن منظور: "و فِي الْعادة أَن يُسَمَّى مَا كان على ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر قطعةً، فأما ما زاد على ذلك فإنما تُسمِّيه العربُ قصيدةً". (ابن منظور، ج٣، ٣٥٥) ، وفى

معجم اللغة العربية: "القصيدة: مجموعة من الأبيات الشِّعريّة متّحدة في الوزن والقافية والرَّويّ وهي تتكوّن من سبعة أبيات فأكْثر". (احمد مختار، ج٣، ١٨٢٠)، ويقول ابن رشيق القيروانى:"وقيل: إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس ... ومن الناس من لا يَعُدُّ القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد.. ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً، وأن يتجاوز بها العقد، أو توقف دونه؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة، وإلقاء البال بالشعر". (ابن رشيق، ج١، ١٨٨) فعلمنا مما مرَّ من التعريفات أنه ليس أحد تنازل فى عدد أبياتها من سبعةٍ ، فنستفيد منه أنه ما نقص منها فهي مقطعة وما تكون سبعة أو أكثر فهي قصيدة.

ثانيا: مفهوم الوحدة والترابط في القصيدة

نحن نرى هناك عددا من المصطلحات في هذا الموضوع، فمنها "وحدة القصيدة"، و"وحدة المشاعر في القصيدة"، و"الوحدة العضوية في القصيدة"، و"وحدة الأبيات في القصيدة" و"وحدة الأغراض في القصيدة"، و"وحدة البيت في القصيدة"، وهذه المصطلحات بعضها مترادفة وبعضها متقاربة، وفي حين بعضها مختلفة عن بعض كليا، والسِرُّ وراء هذه الاختلافاتِ والتكثُّرِ في المصطلحات يرجع إلى أمر آخر وهو أن فن "النقد الأدبي" ليس شأنه كشأن الفنون الأخرى من النحو والصرف وأصول الفقه والحديث، فإن هذه العلوم لها مصطلحات خاصة مثبتة، اتفق أهلُها على أسمائها و مدلولها مع اتفاق كلي أو خلاف يسير محدود، أما فن "النقد الأدبي" ليس كذلك، قليلا ما نرى هناك إجماع النقاد في مصطلحاتها وقضاياها، والسبب في ذلك يعود إلى أن الأدب والنقد في أكثر الأحيان يعتمدان على الذوق، والأذواق تختلف باختلاف الأشخاص كما تختلف باختلاف الأمكنة و العصور، ففي أكثر القضايا النقدية - إن اتفقوا في أسماءها فاختلفوا في مفاهيمها، وإن اتفقوا في مفهومها فاختلفوا في أسماءها، وشأنهم هذا لم يختلف في قضية **"الوحدة والترابط في القصيدة"** أيضا، فسموها بأسماء مختلفة على مرضاهم، وحدَّدَ لها المعني على رضاهم، فالقضية التي نحن بصددها الآن وهي قضية **"الوحدة والترابط في القصيدة"** من أهم القضايا النقدية في العصر الحديث يقصد بها نقاد الأدب الحديث -عامة- أن تكون القصيدة مترابطة الأجزاء متماسكة الأعضاء، وأن تكون بنية واحدة تامة الخلق، وأن يكون كل بيت فيها كجزءٍ خاضعٍ ومُكْمِلٍ لجزء آخر، فتكون القصيدة عملًا فنِّيًا تامًّا، يكمُل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها، فلا يتقدَّم فيها بيتٌ عن موضعه ولا يتأخَّر، وكذا لا يُحذف منها شيءٌ ولا يُنقل إلى مكان

آخر فهي كجسم حي لا تغني فيه الأذن عن العينِ ولا القدمُ عن الأكف، ولا يُنقَلُ فيه عضوٌ إلى مكان عضو آخر.

ثانيا: نشأةُ مصطلح "الوحدة والترابط في القصيدة"

مصطلح **"الوحدة والترابط في القصيدة"** مصطلحة حديثة في الشعر العربي، لم يعرفها قدماء النقاد ، لا باسمها ولابمدلولها، فإنهم لم يستعملوا هذا المصطلح في نقدهم، لا في هذا المفهوم ولا في غيره، كما لم يعرفوا مدلولها، لا بهذا الاسم ولا بغيره؛ و لم يهتم الشعراء القدماء هذه الوحدة في قصائدهم شرطًا والتزامًا، بل تركها حينًا وأتاها حينًا، ونظَّموا القصائد الشعرية كيفما تيسَّر لهم من وحدة المعنى مع مُراعاة الوزن والقافية، ومعظَمُ النقاد القدماء لم يلتفتوا إلى هذا المصطلح بهذا المعنى، بل اكتفوا عند تقديرِهم الشعرَ بمجرَّد أحسنِ التشبيهات والاستعارات أو بمجرَّدِ وجود **"وحدة البيت"** الذي سمُّوه بـ "البيت المقلد"، أوبمجرد وجود الوحدة في القافية والوزن ، ويقولون في حد الشعر: أنه كلام موزون مقفى قصدا.

رابعا: الوحدة في القصيدة في نظر النقاد

إذا التفتنا إلى العلماء والنقاد قديما وحديثا فنرى القدماء أصبحوا في طائفتين: طائفة تحب "وحدة البيت" في القصيدة ، وطائفةٌ تحب "وحدة الأبيات" فيها، أما النقاد في العصر الحديث فنرى مُعظمَهم يحبون "وحدة الأبيات" في القصيدة، وما لا يكون كذلك فهم ينقدونها نقدا لاذعا.

(1) معظم النقاد القدماء يستحسنون "وحدة البيت" في القصيدة

جُلَّ النقاد القدامى كانوا يهتمُّون بوحدة البيت واستقلالِه، ويستحسنونَها في الشعر، وأحسنُ البيت عندهم ما يكون مستغنيا عن الآخر، حتى لايتوقف فهمُه على أبياتٍ سبقتْه أو تلحقُه، فمنهم من نصَّ على هذا بصراحة ومنهم من أشار إليه بتلميحٍ ، فأول من نصَّ إلى هذا بصراحة هو الناقد ابن سلام الجمحي[1] ،هو حينما يُعرّف عن "البيت المقلد" يقول: "هوالبيت المستغني بِنَفسِهِ، الْمَشْهُور الَّذِي يضْرب بِهِ الْمثل" (الجُمحي، ج٢، ٢٦١) وكان من شأنه أنه عند الموازنة بين الشعراء كان يبحَثُ عن مقلَّداتِهم، فمن تكون مقلداتُه أكثر فهو عنده أشعَرُ ممن تكون مقلداتُه دونه، فكثرة المقلدات عنده من أبرز الأسباب في تفضيل الشعراء أحدَهم على أحدٍ، وقال جرير لأبي عمرو بن العلاء بعد أن ذكرَ له أبو عمرو بيتين من شعرمجنون بن الملوح: "وهذا من أرق الشعر كُلِّه وألطَفِه، لولا التضمين الذي فيه، والتضمين: أن يكون البيت معلّقا بالبيت الثاني، لا يتِمُّ معناه إلا به، وإنما يُحمَد البيت إذا كان قائما بنفسه" (ابن عبد ربه، ج٦، ٢٢٢) وكلما تقدَّم الزمن كانت الفكرة تزداد وضوحا، وجاء كلام النقاد فيه أكثر وضوحًا من السابق، فينقل أبو أحمد

العسكري[٢] (ت- ٣٨٢هـ)، عن الصولي : "أن خير الشّعر ما قام بنفسه، وكمُل معناه في بيته، وقامت أجزاءُ قسمتِه بأنفسها" (أبو أحمد العسكري، ج١، ٩)، وابن رشيق القيرواني (ت- ٤٦٣ هـ) يقول : "ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيتٍ قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة، مثل الحكايات وما شاكلها، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد." (ابن رشيق، ج١، ٢٦١)، والناقد الشهير ابن خلدون (ت-٨٠٨ هـ) يقول في تعريف الشعر : " هو كلامٌ مفصَّلٌ قِطعاً قِطعاً، متساويةٌ في الوزن، متحدةٌ في الحرف الأخير من كل قطعة... وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقلٌ عما قبله وما بعده. " (ابن خلدون، د-ت، ج١، ٢٦٧) ثم بعد أن تقدم شيئا أتى تلخيص تعريف الشعر وقال: " الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به" (المرجع السابق، ج١، ٢٧٠).

مما سبق من الأقوال والآراء يتضح لنا أن كثيرا من النقاد القدامى كانوا يهتمُّون باستقلال البيت واستغنائه، فالشعر الجيد عندهم ما استقل وقام بنفسه، لايحتاج إلى ما فوقه ولا إلى ما بعده، فهم لا يَعرِفون من الوحدة إلا "وحدة البيت" ويقصدون منها استقلال البيت في المقصد، وعند ابن رشيق هذا اذا ما كان في غير الحكايات، أما إذا كان في الحكايات و في ما شاكلها فعند ذلك بناءُ اللفظ على اللفظ أجود، وأكثر النقاد وإن ذكروا اهتمامهم بـ "استقلال البيت ووحدته"، لكنهم لم يُخصِّصْها بغير الحكايات والقصص، ولم يفرقوا بين الحكايات وبين غير الحكايات، بل ذكروها مطلقا. ولا غرابة في أنهم قد أرادوا هناك بالشعرِ النوعَ الكامل منه لا الشعر المطلق الذي يعم القصصي والوجداني معا، والنوع الكامل في الشعر هو الشعرُ الوجداني لا الشعر القصصي والملحمي؛لأن الشعر ليس إلا ما يكون فيه بيانا عن شعور الشاعر وعواطفه، وبيانا عن حُزنه وفرحه وما سوا ذلك من شعر الملحمة والقصص ليس هو إلا سردٌ محضٌ، خالية عن التأثيرو التأثر.

(2) طائفةٌ من القدماء يستحسنون "وحدة الأبيات"

على الرغم مما تقدَّم من أمر "وحدة البيت" في النقد القديم، فقد كان هناك عددٌ كبير من الشعراء والنقاد الذين يقفون ضد "وحدة البيت" وهم لايعدونها مقياسا للشاعرية الحقة، بل هم يعتقدون بوحدة أخرى سوى "وحدة البيت"، وذاك تقرُبُ من مفهوم "وحدة الأبيات" للعصر الحديث وهي وحدة الترابط و التماسك بين الأبيات

أو باسم آخر وحدة التآخي بين الأبيات، فمن نراه أوَّلَ لافتٍ إلى هذه الوحدة هو الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت-٤٣٧ ق. م.) ، فهو يقول في حواره مع فايدروس: " أحسِبُ أنك توافقني على أن كلَّ حديثٍ يجب أن يكون منظَّما مثلَ الكائنِ الحيّ، له جسم خاص به بحيث لا يكون مبتور الرأس أو القدَم، ولكنه في جسده وأعضائه مؤلَّف تتحقق الصلةُ بين عضوٍ وآخر، ثم بين الأعضاء جميعا" (بكار،٢٧٧) فإنه لم يفرّق في "الحديث" (الكلام) بين النثر والشعر، بل كل حديث عنده – نثرا كان أو نظما- يجب أن يكون مُنظَّمًا مثل الكائن الحي، وتابعَه تلميذُه أرسطو (ت- ٣١٢ ق. م.) في كتابه "فن الشعر" إلا أنه هذَّبها ونقَّحها، فخصَّصها بالمأساة، ويقول: "إن المأساة عمل فني تام، له مقدمة ووسط ونهاية، وأنه متماسك الأجزاء، يودي كل جزء فيه إلي ما يليه...، وحدة المأساة شبيهة بوحدة الجسم الإنساني، الذي إذا انتزع منه جزء تضعضع الكل" (د. محمد أحمد صوالحة وزميله، ١٠)

وروى أبو العباس المبرد (ت- ٢٨٥هـ) في هذا قولاً لعمر بن لجإ [٣] (ت- نحو١٠٥هـ)، و يقول : "وخُبِّرتُ أن عمر بن لجإٍ قال لابن عمٍّ له: أنا أشعر منك، قال له، وكيف؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وانت تقول البيت وابن عمه." (المبرد، ج٢، ١١٩) ويوافق هذا ما نقله المرزباني برواية عمارة بن عقيل، فهو يروي: "قال عمُّ عبيد الراعي للراعي : أيّنا أشعر أنا أم أنت؟ قال: بل أنا يا عم. فغضب وقال: بم ذاك؟ قال: بأنك تقول البيت وابنَ أخيه وأقول البيتَ وأخاه." (المِرزباني، ج١، ٢٠٧) ويقول المرزباني: "كان أبو العباس المبرد يفضّل الفرزدق على جرير ويقول: الفرزدقُ يجيء بالبيت وأخيه، وجريرٌ يأتى بالبيت وابن عمه." (المرجع السابق، ج١، ١٦١)

فما سبق من الأقوال في تفضيل البيت وأخيه فإنها تدل صراحة علي أن أجود الأبيات ما يكون فيها نصيب وافر من الترابط والتماثل، لأن الإخوة والأخوات يكون فيها التشابه والتماثل أكثر مما في العم وابن عمه. فهذا يدل على أن الترابط و التماسك بين الأبيات محمود ومستحسن بالنسبة إلى استقلالها واستغنائها. و يقول الجاحظ: "وأجوَدُ الشعر ما رأيتَه متلاحمَ الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان." (الجاحظ، ج١، ٧٥) ويقول ابن قتيبة: "أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين ...، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق،...، فإذا استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقّب بإيجاب الحقوق...، " (ابن قتيبة،

ج١، ٧٥-٧٦)، فإن كلام ابن قتيبة تدل على أنه لابد من الترابط بين أبيات القصيدة، حتى ينزل الشاعر من معنى إلى معنى مثل انحدار الماء من الأعلى إلى الأسفل.

ثم يتابعهما في هذا ابنُ طباطبا العلوي[٤] (ت- ٣٢٢ هـ) أحد كبار النقاد في القرن الرابع، فيقول: " وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه فيُنسى السامعَ المعنى الذى يسوق القول إليه." (ابن طباطبا، ج١، ٢٠٩) ، ويقرب من هذا ما نقله الحُصري (ت- ٤٥٣هـ) إسناداً إلى الحاتمي[٥] في كتابه "زهر الآداب وثمر الألباب" تحت فصل "وحدة القصيدة واتساقها" يقول الحاتمي: " مَثَلُ القصيدة مِثلُ الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعضٍ، فمتى انفصل واحدٌ عن الآخر وبايَنَه في صحة التركيب، غادرَ الجسمَ ذا عاهةٍ تتخوَّن محاسنه، وتعفي معالمَه، وقد وجدتُ حذَّاقَ المتقدمين، وأربابَ الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسًا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان " (الحُصري، ج٢، ١٦)

(3) الوحدة عند النقاد المحدثين

الواقع أن "وحدة القصيدة" أو "وحدة الأبيات" من المشاكل الأدبية التي تردد صداها مع مطلع القرن العشرين عند النقاد والشعراء، وأصبحت الدعوة إلى هذه الوحدة ثورةً على نظام الشعر العربي الذي كان البيت فيه وحدة مستقلة، ودعا إليها كثير من النقاد والشعرآء من أمثال البارودي وخليل مطران، و تركوا فيه بحثا مطولا وآراء قيّمة، فيقول البارودي (ت- ١٩٠٤م): " وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه وائتلفت معانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى، سليمًا من وصمة التكلف، " (الدسوقي، ج١، ١٨٥) ويقول الدسوقي: " أول تجديد دعا إليه مطران هو وحدة القصيدة، وتماسك أبياتها بعضها ببعض لأنه لم يجد في الشعر العربي ارتباطًا بين المعاني التي تتضمنها القصيدة الواحدة، ولا تلاحمًا بين أجزائها، ولا مقاصد عامة تقام عليها في أبنيتها، وتوطد أركانها" (المرجع السابق، ج٢، ٢٨٥)

أما أول من اهتم بها اهتماما بالغا وأوضح ملامحها وحدَّد مقوّماتها، ثم طبَّقها على شعراء هذا القرن وسابقه، هم أصحاب مدرسة الديوان[٦]، مِن أبرزهم عبد الرحمن شكري (ت-١٩٥٨م)، إبراهيم عبد القادر المازني (ت-١٩٤٩م) وعباس محمود العقاد[٧] (ت١٩٦٤م)، وآرآءهم فيها كما يلى-

(1) يقول عبد الرحمن شكري: " قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة؛ لأن البيت جزء مُكمِّل، لايصح أن يكون البيت شاذا خارجا من مكانه من القصيدة، بعيدا عن موضوعها، وينبغي أن ينظر إلى القصيدة

من حيث هي شيء فرد كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة، ومثلُ الشاعر الذى لايعني بإعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينشأها من الضوء نصيبا واحدا" (2) ويقول المازني: "الشاعر لابد له أن يلائم بين أطراف كلامه، ويساوق بين أغراضه، ويبني بعضًا منها على بعض" (يحي خان، 104). (3) أما العقاد فقد كان أكثر الثلاثة حديثا عن الوحدة في كتاباته، فقد نقل الدكتور أحمد صوالحة في مقالته "الوحدة العضوية في القصيدة العربية" كلاما طويلا للعقاد فيها، فهو- العقاد- يقول: " إن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما، يكمُل فيه تصويرُ خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها، ...فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه،... أو هى كالبيت المقسم، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولا قوام لفن بغير ذلك" (محمد أحمد صوالحة وزميله، 12.). فوحدة القصيدة عنده وعند ابن طباطبا تقوم على تشبيه القصيدة بالجسم الحي؛ حتى لا يجوز أن يتقدم بيت عن موضعه أو يتأخر.

الباحث يحيى خان أتى بتلخيصٍ لآراء "مدرسة الديوان" وعرض آرائها عرضا غير مفرط. فيقول أن مفهوم الوحدة عند شكري والمازني كان مفهوما يكاد أن يكون واحدا واتجاها متقاربا يقوم على أسس ثلاثة: الأول: أن تدور أبيات القصيدة كلها حول موضوع واحد لا تتعداه إلى غيره حتى تسمى القصيدة بعنوان يُستفاد من موضوعها. والثاني: وحدة المشاعر والعواطف ووحدة الآمال والأحاسيس في القصيدة. والثالث: أن تترابط أبيات القصيدة بحيث يؤدي كل بيت دورَه في نمو القصيدة ولا يكون شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، فهذه الأسس الثلاثة يتفق فيها شكري والمازني مع العقاد، أما العقاد يختلف عنهما في أساس رابع زائد على هذه الثلاثة، وهي ترابط الأبيات ترابطا عضويا بحيث لايمكن الاستغناء عن بيت من أبيات القصيدة، ولايجوز تقديمه وتأخيره عن مكانه، وشكري والمازني لم يرضيا بهذا الشرط في مفهوم الوحدة؛ لأن الترابط بهذه الصفة عندهم صعب جدا، فإنه وإن يُمكن في الشعر المسرحي والملحمي و القصصي، لكن لا يُمكن في الشعر الوجداني والغنائي، لأن التعبير عن الأحاسيس والمشاعر لا ينحصر في ترتيب واحد حتى يخل عند التقديم والتأخير، بل يتسع للشاعرهناك إنشاء التماسك والترابط بترتيبات مختلفة على اختلاف أذواقهم.

خامسا: الفرق بين القصيدة القصصية والوجدانية

يجدُر بنا هنا توضيح أمرمهم آخر وهو أن "الوحدة والترابط في القصيدة" مثل ما وصفها العقاد (وهوأكثر النقاد كلاما عنها) ، هل يُمكن إنشائُها وإثباتُها في جميع أنواع القصيدة من القصصي والوجداني أم لا يُمكن في جميعها على الاستواء؟

في هذه الوقفة نقف في وجه العقاد خصوصا في الشرط الأخير ونوافق فيه مع شكري والمازني في عدم اشتراطها؛ لأن "الوحدة والترابط" بالشرط الآخير (وهو عدم جواز التقديم والتأخير في الأبيات) من الوحدة الصعبة الشاقة، فإنها وإن قد يجوز حينا في الشعر القصصي والملحمي لاقتضائه الترتيب بين الوقائع والأحداث إلا أنها مستحيلة في الشعر الوجداني والغنائي، لأن أمرَ الوجدان والشعور ليس كذلك، فإن الأمور فيها خيالي يندمج في نفس الشاعر كالأمواج المتزاحمة في آن واحد، يصعب الفرق فيها بين متقدم ومتأخر، حتى لا تأخذ هذه المعاني شكلا وترتيبا إلا إذا لجأ الشاعر إلى تعبيرها في قالب لفظي، ولمزيد التوضيح نستطيع أن نمثله بمثال حسي، فنقول أن مثل القصيدة الغنائية والوجدانية مثَلُ دارٍ أو حُجرةٍ نريد بناءه؛ فرسامٌ يرسم خريطةً ورسام آخر يرسم خريطة أخرى، أو دارٍ نريد تزخرفَه ؛ فمُزَخرِفٌ يزخرفه بهيئة وشكل، ومُزخرِفٌ آخر يزخرفه بشكل آخر وهيئة أخرى، وكلها مستحسن وجيّد، فلا يعيب في الخريطة الثانية أن يُقَدِّم شيئا كان متأخرا في الخريطة الأولى، وكذا الحال في الشعر الوجداني فإنه يعتمد كثيرا على العاطفة، والعاطفة لا تطلب ترتيبا خاصا في المعاني أما أنه يطلب الترابط والتلاحم فيها في أي ترتيب كان، فعاطفة الشاعر وشعوره فيه يتدفق تدفقا كبيرا، فيتولد من معني واحدٍ معاني كثيرة ومن مفهومٍ واحدٍ مفهوماتٌ عديدة، يتزاحم بعضها على بعض، بعضها كالسبب والعلة وبعضها كالمسبب والمعلول، بعضها كالمُقدِّمة وبعضها كالنتيجة، و الأبيات فيها إما متولِّدة من السابق وإما مولِّدة للاحق حتى يستوفيه الشاعر إلى آخره، وينتهي به إلى خاتمة القصيدة، فكل قصيدة من القصصي والوجداني لابد فيه من الترابط بين معانيه لكنه في الوجداني لايتيسّر بقدر ما يتيسر في القصصى.

سادسا: تشبيه القصيدة بالجسم الحي والقلادة

الذين يستحسنون"وحدة البيت" في القصيدة، فهم يُشبِّهون القصيدة بالعِقد والقلادة، فالقصيدة تشتمل على أبيات كثيرة من الشعر، كما تشتمل العِقدُ والقلادة على حبات كثيرة من الدرر ، وحبات الدرر تكون دائما ذات قِيمة؛ لا فرق بين أن يكون في العقد أو يكون منفصلا عنه ، فأبيات القصيدة تكون أحسن وأجود إذا كانت ذات معنى كامل في الحالين: عند كونها في القصيدة وعند انفصالها منها ، أما الذين يستحسنون "وحدة الأبيات" فهم يُشبهون القصيدة بالجسم الحي ويُشبِّهون أبياتَها بأعضائه، ومن المعلوم أن أعضاء الإنسان والحيوان تكون ذات قيمة وأثر إذا كان في محله بين شقائقه، فإن ترك المحل ونُزِع من بين شقائقه فلا جمال فيه ولا قيمة له، وحال أبيات القصيدة مثل ذلك حيث أن لها منفعة عظيمة إذا كان في القصيدة ولا فائدة له إذا نزع منها.

سابعا: الخاتمة

بعد البحث والدراسة فى هذا الموضوع يُمكن لنا أن نصل إلى نتائج تالية-

1- القصيدة هي مجموعة الأبيات الشعرية التي تتكون من سبعة أبيات فأكثر، وما تقل عن سبعة أبيات فهي تسمى مقطوعة. والشعر كل كلام موزون مقفى، سواء كان ذا بيت أو أبيات، فالشعر أعم من القصيدةِ والقصيدة أخص منه.

2- المراد من الوحدة والترابط في القصيدة هي أن تكون القصيدة مترابطة الأجزاء متماسكة الأعضاء، وأن تكون بنية واحدة تامة الخلق، وأن تكون كل بيت فيها كجزءٍ خاضعٍ ومُكْمِلٍ لجزء آخر.

3- الوحدة نوعان: "وحدة البيت" و "وحدة الأبيات"، وحدة البيت هي تمام البيت في المعنى واستغنائه عن الآخر ، ويسمى مثل هذا البيت عند الأدباء بـ "البيت المقلد"، ووحدة الأبيات هي أن تكون الأبيات خواطر متجانسة، ويكون كل بيت منها متمِّمًا لبيت آخر حتى يكون مجموع القصيدة كجسمٍ حيٍّ.

4- النقاد في استحسان الوحدة أصبحوا طائفتين: طائفة تستحسن "وحدة البيت"، أكثرهم من النقاد القدامي، وطائفة تستحسن "وحدة الأبيات" معظمهم من النقاد المحدثين.

5- إن كانت القصيدة قصصيا أوملحميًّا أو مسرحيًّا فلابد فيها من وجود الوحدة بين الأبيات، وإن كانت وجدانيا وغنائيا ففيها يكفي وجود الوحدة في مصراعي البيت وهي تُسمى بـ "وحدة البيت"؛ لأن القصص وما يكون مثل ذلك يطلب الترتيبَ، أما الوجدانُ والشعورُ ليس كذلك.

6- أول من اهتم كثيرا بهذه القضية *أصحاب مدرسة الديوان*، من أبرزهم شكري والمازني والعقاد، فشكري والمازني اتفقا مع العقاد في ثلاثة شروط لوجود "وحدة الأبيات"، وهي وحدةُ الموضوع ووحدةُ المشاعر، وتأديةُ كل بيت دوره في نمو القصيدة، وزاد العقاد شرطا رابعا فيه وهو عدم جواز التقديم والتأخير في الأبيات.

7- وجود وحدة الأبيات بالمعنى المطلوب على شرط العقاد عسير جدا خصوصا في الشعر الوجداني؛ لأنه لا يكون هناك ترتيب خاص، فما قاله شكري والمازني أقرب إلى الصواب مما قاله العقاد.

[১] . هو أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجُمحي (٢٣٢ هـ)، إمام في الأدب، من أهل البصرة، مات ببغداد سنة ٢٣٢هـ، من أشهر كتبه "طبقات فحول الشعراء"، "بيوتات العرب" ، "غريب القرآن"، كان يقول بالقدر [الزركلي، ج٦، ١٦٦]

[২] . هو أبو أحمد بن عبد الله بن سعيد العسكري؛ أحد الأئمة في الآداب والحفظ، وهو صاحب أخبار ونوادر، وله رواية متسعة، وله التصانيف المفيدة: من أشهرها "الزواجر والمواعظ" و "التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم" و "الحكم والأمثال "[المرجع السابق ، ج٢، ٨٣]

[৩] . هو عمر بن لجأ (وقيل: لحأ) بن حدير ابن مصاد التيمي، من بني تيم بن عبد مناة: من شعراء العصر الأموي: اشتهر بما كان بينه وبين " جرير " من مفاخرات ومعارضات . [الزركلي، ج٥، ٥٩]

[৪] . محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلويّ، أبو الحسن: شاعر مفلق وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان. له كتب، منها " عيار الشعر - ط " و " تهذيب الطبع " و " العروض " قيل: لم يسبق إلى مثله. وأكثر شعره في الغزل والآداب ،. [الزركلي، ج٥، ٣٠٨]

[৫] . هو أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي(ت- ٣٨٨ هـ)، نسبته إلى جد له اسمه (حاتم)، أديب نقاد، من أهل بغداد، [الزركلي، ج٦، ٨٢]

[৬] . تعد هذه من المدارس الشعرية الجديدة بعد مدرسة البارودي، ومن زعماء البارزين لهذه الحركة التجديدية عبد الرحمن شكري، ابراهيم عبد القادر المازني، عباس محمود العقاد، وقد أسهم الثلاثة بدور كبير في نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث، واطلق على مدرستهم "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى الكِتاب النقدي المشهور "الديوان" الذي ألفه كل من المازني والعقاد وأوضحا فيه اتجاههما الجديد، حتى لم يسلم من نقدهم أمثال شوقي وحافظ والمنفلوطي من كبار الشعراء،. [عبد التواب صلاح الدين، ١٤٧]

[৭] . هوعباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع. أصله من دمياط، ،كان موظفا بالسكة الحديدية وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ثم معلما في بعض المدارس الأهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر، وظل اسمه لامعا مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتابا. [الزركلي ، ج٣، ٢٦٦]

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم مصطفى وزملاؤه، *المعجم الوسيط*، القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د-ت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، *المقدمة* ، موقع الوراق.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، بيروت: دار صادر، 1900م.

ابن رشيق القيروانى *:العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، بيروت: دار الجيل، 1981م.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، *عيار الشعر*(المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع)، القاهرة: مكتبة الخانجي، د-ت.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين الأندلسي: *العقد الفريد*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 1404هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، *الشعر والشعراء*، القاهرة: دار الحديث، 1423هـ.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د-ت.

أبو أحمد العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد، *المصون في الأدب*، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الكويت: مطبعة حكومة، ط2: 1984م.

أحمد الفزارى، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء* ، بيروت: دار الكتب العلمية، د-ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، *البيان والتبيين*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ.

الجُمحي، محمد بن سلاَّم ،*طبقات فحول الشعراء*، المحقق: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدنى، د-ت.

الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، *زهر الآداب وثمر الألباب*، تحقيق: أ. د. يوسف على طويل، بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية ، 1417 هـ - 1997م.

الدسوقي، عمر ،*في الأدب الحديث* ، بيروت: دار الفكر العربي، 2000م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، *الأعلام*، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، *الكامل في اللغة والأدب*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ط3: 1997م.

المِرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى، *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء*، د-ت.

بكار، الدكتور يوسف حسين ،*بناء القصيدة العربية*، بيروت: دار الأندلس، 1982م.

د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، عالم الكتب، 2008م.

د. محمد أحمد صوالحة وزميله، *الوحدة العضوية في القصيدة العربية*، المجلة العلمية بكلية الآداب جامعة بنها، عدد13، 2013م.

عبد التواب صلاح الدين، *مدارس الشعر العربي الحديث*، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٨٢م، ص١٤٧.

قدامة بن جعفر، *نقد الشعر*، قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ط1: 1302هـ.

يحيى خان ، *الوحدة العضوية في القصيدة العربية قديما وحديثا*، مجلة العلوم الإسلامية والدينية، جامعة سوات، المجلد:1، العدد:2 يوليو- ديسمبر 2016م.